نظرة إلى الصوم في تفسير

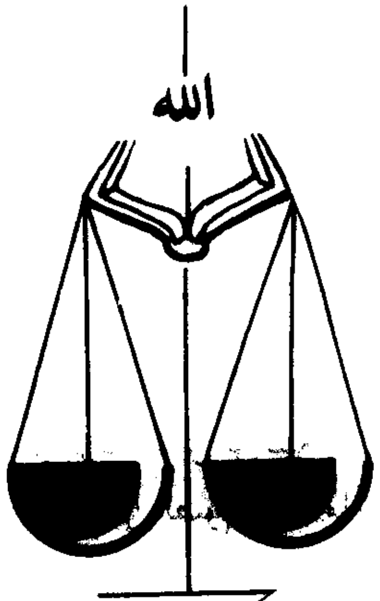

الميزان

الأستاذ كمال مصطفى شاكر

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصّيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون *(١٨٣)* أياماً معدودات فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدَّةٌ من أيام أُخَر وعلى الذين يطيقونه فديةٌ طَعامُ مِسكِينٍ فمن تطوّع خيراً فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون *(١٨٤)* شهر رمضان الذي أُنزلَ فيه القرآن هدًى للناس وبيّنات من الهُدى والفرقان فمن شَهِدَ منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعدَّةٌ من أيام أُخَر يُريد الله بكمُ اليُسر ولا يُريد بِكم العُسر ولتكملوا العِدّة ولتُكَبِّروا الله على ما هداكم ولعلَّكم تَشكُرون﴾ *(١٨٥)*. البقرة / ١٨٣ ـ ١٨٥/ .

الكتابة: يكنى بها في الآية عن الفرض والعزيمة والقضاء الحتم؛ كقوله: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي﴾ المجادلة ـ ٢١.

والصيام: بمعنى الكف عن الفعل؛ كالكف عن الأكل والشرب والمباشرة والكلام.. الخ. وغلب استعماله في الشرع في الكف عن المفطرات الشرعية من طلوع الفجر إلى المغرب إلى الليل لقوله وأتموا الصيام إلى الليل..

والمراد بالذين من قبلكم، الأمم الماضية التي أتتها رسالات وشرائع سماوية؛ وإن كان ما فرض عليهم من الصوم يخالف ما شرعه الإسلام من حيث الوقت والخصوصيات والأوصاف. ولا يوجد في التوراة والأناجيل الموجودة بين أيدي أهل الكتاب ـ اليوم ـ ما يدل على فرض الصوم؛ مع أن الكتابين يعظمان أمره. وهم ـ أي أهل الكتاب ـ يصومون أياماً معدودة بأشكال مختلفة: كالصوم عن اللحم أو الصوم عن اللبن، أو عن الأكل والشرب.

ويذكر القرآن قصة صوم زكريا ومريم ـ عليهما السلام ـ عن الكلام.

والصوم عبادة يقوم بها غير المليين؛ كالمصريين القدماء وكذلك قدماء الرومانيين واليونايين وهناك من وثنيين الهند من يمارس عبادة الصوم حتى اليوم.

والتقوى: هي التأطر بالتكاليف المولوية بما ينتج القرب من ساحة القدس. وكان الوثنيون يصومون لإرضاء آلهتهم وإطفاء ثائرة غضبها، ليستدروا نفعها أو يرفعوا تبعات ما أجرموا في جنبها؛ بزعمهم. وهم بهذا جعلوا الصوم معاملة ومبادلة، يقدم فيها العابد حاجة الرب، ليقضي الرب له حاجته؛ فهي علاقة تبادل المنفعة.

والله سبحانه منزه عن كل نقص وغني عن العالمين، وآثار الطاعات والمعاصي راجعة للعباد؛ إذ أنه لا شأن لهم إلا الفقر والحاجة. «يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني» فاطر ـ ١٥. فمن أراد الارتقاء في مدارج الكمال والاتصال بعالم الطهر والرفعة لزمه التنزه عن الانغمار في الماديات والاسترسال في استيفاء اللذائذ الجسمية وقبض النفس عن جماح شهوات البدن والتعالي عن الخلود إلى الأرض وبذلك يتقي ما يبعده عن الاشتغال عن ربه. فمن ارتقى عن المباح من الشهوات كان أقدر على اجتناب المحرمات واتقائها. ومن كف النفس عن الهوى اتقاء غضب الله رفعه الله إليه، ومن استجاب في الكف عن اللذائذ المباحة كان أطوع في الاستجابة في الكف عن المعاصي والمحارم.

والأيام المعدودات: يراد بها شهر رمضان، والتنكير واتصافه بالعدد للدلالة على هوان أمره.

وهذا يعارض ما قيل من أن المراد بالأيام المعدودات ثلاثة أيام من كل شهر أو غير ذلك؛ فالروايات في ذلك لا تخلو من تعارض واختلاف؛ والأغرب من ذلك قول بعضهم أنه في صوم عاشوراء ـ وهو اليوم الذي قتل فيه سبط الرسول وسبيت ذريته ـ ويظهر أن تشريع صومه كان بعد قتل ذرية رسول الله لا قبل ذلك؛ إذ كيف يكون لهذا اليوم من خصوصية؟! وأضعف من ذلك قول آخرين أن الصوم كان مكتوباً عند النصارى، ثم زادوا فيه ونقصوا بعد عيسى(ع) حتى استقر على الخمسين يوماً.

وأما من كان مريضاً أو على سفر فإن هذا عارض لا يرفع الحكم عن أصل الفرض ولا عن عدده، وإنما يرفعه عن شهر رمضان مع بقاء التكليف خارجه. وهذا معنى قوله تعالى: ﴿ولتكملوا العدة﴾.

على أن قوله تعالى فعدة من أيام أخر يدل على العزيمة دون الرخصة. وهو المروي عن أهل البيت وجمع من الصحابة.

والإطاقة: هي صرف تمام الطاقة في الفعل، ويستلزم وقوع الصوم بجهد ومشقة.

والفدية: هي البدل. وهي هنا بدل مادي؛ وهو إطعام مسكين جائع من أوسط ما يُطعَم به المرء. وحكم الفدية؛ كحكم القضاء في المريض والمسافر؛ يدل على الوجوب التعييني دون الرخصة والتخيير.

مركز تحقيقات كامپيوتري علوم اسلامي

والتطوع: في قوله تعالى فمن تطوع خيراً فهو خير له؛ هو التفعل من الطوع مقابل الكره. وهو إتيان الفعل برضاً ورغبة دون كره واستثقال. أما اختصاص التطوع بالمستحبات والمندوبات فمما حدث بعد نزول القرآن؛ ولذا لا دلالة في الفعل على الندب ولا على الزيادة. ويصبح معنى قوله تعالى: «وأن تصوموا خير لكم»: تطوعوا بالصوم المكتوب عليكم فإن التطوع بالخير خير. والصوم خير لكم، فالإتيان به طوعاً ـ لا كرهاً ـ خير على خير.

والنزول هو الورود من العلو. والإنزال دفعي؛ والتنزيل تدريجي.

والقرآن سمي بهذا الاسم باعتباره مقروءاً ويطلق على مجموع الكتاب وعلى أبعاضه. وتدل الآية على نزوله ـ دفعة واحدة إلى سماء الدنيا ـ في شهر رمضان ثم نزوله على رسول الله(ص) نجوماً في مجموع مدة دعوته(ص) وهي ثلاث وعشرون سنة.

والناس في قوله: ﴿هدى للناس﴾ هم الطبقة الدانية من بني البشر الذين سَطْحُ فهمهم أقل السطوح. وهم أصل التقليد الذين لا يسعهم تمييز المعنويات بالبنية والبرهان. وتقابُلُ قوله هدى للناس مع قوله ﴿وبينات من الهدى والفرقان﴾ هو تقابل بين العام والخاص. فالهدى لبعض

والبينات من الهدى لبعض آخر؛وهم الخاصة المستكملون من ناحيتي العلم والعمل الذين استنارت قلوبهم بأنوار الهداية؛ فاستعدوا لبيناتها وللركون إلى فرقان الحق الذي ﴿يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾ المائدة ـ ٦.

والشهادة: هي الحضور مع تحمل الغلم، وشهادة الشهر بلوغه والعلم به. ويكون بالبعض وبالكل.

يدل سياق الايات على نزولها دفعة واحدة بعد تشريع القصاص والوصية. على أن كتابة القصاص في القتل والوصية للوالدين والأقربين، أمر يوافق حس الانتقام الثائر في نفوس أولياء المقتولين، ويلائم الشح الغريزي في الفطرة التي تكره أن ترى القاتل حياً سالماً يعيش ولا يعبأ بما اقترفت يداه من القتل؛ وكذلك فإن كتابة الوصية يوافق حس الشفقة والرأفة بالرحم ويطابق هوى النفوس في حفظ الأموال للأرحام وخاصة عند الموت والفراق الدائم.

أما حكم الصوم فيقارن حرمان النفوس من أعظم مشتهياتها؛ فهي تميل إلى الأكل والشرب والوقاع، لذا تستثقله النفس، وهذا ما استلزم توطئة الحكم بالقول أن الصوم قد كتب على أمة محمد كما كتب على الذين من قبلها، فهو ليس بدعاً من التكليف وليس عليهم أن يستثقلوه.

وقد بدىء الخطاب بتوجيه الكلام إلى الذين آمنوا، وما ذاك إلا لتذكيرهم بصفة الإيمان، والإيمان يقتضي قبول الحكم والانصياع؛ وإن كان خلاف ما يحبون وما يشتهون، أو خلاف ما استحكم فيهم من عادات.

وهذا يدل على عدم التكرار في فرْض الصوم؛ فالآية الأولى مسوقة للتوطئة ولبيان أنه فرض لا ينبغي على من كتب عليهم الاستيحاش منه واستثقاله طالما أنه كتب على الأمم الملية السابقة.
أما الآية الثانية فمسوقة لتشريعه أمداً وعدداً.

إلف الاعتياد:

إن خروج الإنسان في الصوم عن ما اعتاد عليه ينبهه إلى قضية من قضايا نعمه تعالى عليه.
ففي الصوم امتناع عن الطعام والشراب أو عن غير ذلك في شهر محدد في زمن موقوت لما هو حلٌ في غير هذه الأوقات، وهذا ينبه الإنسان إلى أن الله قد حفظ في البدن مؤونة من القوت والطاقة تكفي وتزيد عن الأمد الذي فرض عليه الامتناع فيه. فالإنسان وإن امتنع عن وجبة أو وجبات يشعر أن

في ما اختُـزن من قوتـه ـ في ذاتـه ـ ما يعـوضـه عما امتنـع عنـه . والالتـزام بما حُرِّم في رمضان ينبه في الإنسان غريزة العبادة لأنه امتناع إرادي . والالتزام بذلك التحريم يعيد إلى الأذهان علاقة العبد مع ربه التي كانت منسية في تكاليف أخرى .

فالمؤمن لا يشرب الخمر ولا يخطر بباله أن يأكل لحم الخنزير، ويلتزم باجتناب المحرمات من المـآكـل والمشـارب، ولا يلبث هذا الالتـزام أن يتحـول إلى عادة . فالصـوم يعيـد ذكرى المنع إلى الرضوخ للانصياع . لأن العادة قد تحكم الإنسان بالصوم من إلف العادة إلى مرتبة العبادة . فيشعر الإنسان بالصوم باستدامة لذة العبادة في شهر رمضان ويتذكر بعده حلال الله وحرامه ويداوم على الالتزام به حتى إذا عاد عادة أتاه شهر رمضان من جديد ليعيد له لذة العبادة فيشعر بحلاوة الانصياع .

وتـذكـر الـروايـات أن الصيـام شرع في أشـد الأوقات حرارة من السنة ، وأمر الناس بصيام رمضـان في رمضـاء الصيف ليستصحب الإنسـان أقصى درجـات التحمـل أثناء ذروة الحر ليكون صومه في أوقات أخرى من السنة أشد وطأة فتبقى للإنسان خفة العبادة وحلاوة التكليف .

وقـد أنـزل القـرآن في شهـر رمضـان ليضـع البـارىء للإنسان قيماً جديدة تتمثل في العملية التهذيبية للسلوك البشري . فكما أن الناس ؛ في غير رمضان ؛ أحرار في الحلال في المآكل والمشارب وهم فيه مكلفون . . أي في رمضان . وكذلك فقبل نزول القرآن لم تكن هناك تكاليف صوم كما في الإسلام ؛ وقد تحددت التكاليف بعد نزوله لكي تنسجم التحولات المادية مع التحولات الروحية .

[redacted]

يدل استقراء الأركان التي بني عليها الإسلام ؛ من صلاة وصوم وزكاة وحج واعتمار وانتهاء ؛ أن منهـا ما يمكن أن يفعله البشـر لبشـر مثله ليتقـرب بذلك إليه تعظيماً له أو عبادة ؛ ليدل بذلك أنه خاضع له مؤتمر بأمره ؛ سواء ركع وسجد، أم عظَّم واستزلف، أم تردد على أماكن من يعظمه وهو يظهر ولاءه له، ويصح هذا القول في كافة العبادات إلا الصوم . وما أكثر ما يسجد بشر لبشر ويركع مرؤوس لرئيس ويعظم حقـير عظيمـاً أو يقـدم بشـر لآخر هدية أو قرباناً أو يحج إليه في الأوقات التي يطلب فيهـا إظهـار الـولاء . إلا أنـه لم يحدث أن قام بشر لبشر بعبادة تماثل الصوم لأنها عبادة نفي لا إثبـات . لأنـه إذ قال إنسـان لآخـر: إني أتقـرب لك بصيـام يوم أو شهر أو غير ذلك لاقتضى ذلك تضييق حرية المتقرِّب إليه بالصوم . إذ أن ذلك يستلزم أن يظل ملازماً له ناظراً إياه طيلة فترة صومه

ليتأكد من صحة قوله وإلا فما الذي يثبت صدق القائل في صيامه؟ لذا لم يحدث أن تقرب بشر لبشر بعملية الصيام.

وحتى لو أقام على رأسه من يراقب إمساكه فماذا يستفيد المتقرب إليه بالصوم؟

ويمكن أن يكون في هذا دلالة على معنى الحديث القدسي: [كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لي وأنا أجزي به].

إذ أن من الممكن أن يتقرب بشر لبشر بمثل العبادات؛ إلا الصوم فإنه لا يُتقرب به إلا لله تعالى.. وهو عبادة نفي فهي امتناع وسلب.. وهو عبادة خالصة لله لأن من الممكن أن يسلب المرء شيئاً عن نفسه، وهو لا يحتاجه.. لذا كان جزاء الصوم له تعالى؛ فقد تعلقت الإرادة الإلهية بذلك لأن الصيام لا يُتقرب به لغيره تعالى. ولهذا كان للصائم فرحتان الأولى حين إفطاره ـ وهذه الفرحة لا ينعم بها من لم يكن صائماً وتظاهر بالصيام ـ والثانية عند لقاء ربه. ففرحة الصائم بهذا الحديث تذكره بأن ربه الذي أعطاه الشعور بالفرح عند الإفطار سيكسبه فرحة أشد عند لقاءه به، فكما أن الالتزام بالصيام عن الطعام حتى موعد الإفطار يثمر الفرحة، كذلك فإن الصيام عن المعاصي، والصيام عن الفواحش، والصيام عن المحرمات طيلة الحياة الدنيا سيثمر فرحة يوم القيامة، وهي فرحة تثمر فيها كافة العبادات.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

[redacted]

قال تعالى: ﴿إن علينا للهدى﴾، فهو سبحانه يهدي من اتبع رضوانه سبل السلام ومن سبل السلام هجرة النفس في شهر رمضان، فالذي يصوم يهجر أشياء مما تتقوم حياته بها التزاماً بأمر مولاه، فيكون بذلك أكثر قرباً من الله سبحانه. وهجرة الطعام تضعف البدن وتضيق عليه الميل إلى المعاصي كما تحثه على هجرة كافة المحرمات. ولا يلبث أن يوطن نفسه على هجرها بالكلية؛ فإذا تم له ذلك يبدأ بالارتقاء في درجات القرب وينال مرتبة الإتيان بالنوافل والصلوات؛ وخاصة صلاة الليل. ولا تلبث أن تنقاد نفسه له ويخليها من الأهواء البهيمية فيصبح من عباد الرحمن ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾[1] متذللين لربهم متواضعين للناس، لا يتبخترون ولا يتكبرون في مشيهم، وحاشاهم التذلل لأعداء الله ابتغاء ما عندهم من العزة الوهمية؛ ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ بما يكرهون ﴿قالوا سلاماً﴾ دون أن يقابلوا الجهل بالجهل ﴿والذين يبيتون لربهم سجداً وقياماً﴾ ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراما إنها ساءت مستقراً ومقاماً﴾. ويزداد إلفه الانتهائي لدين الله فيهجر إنسه بالأهل والبيت ويشرع في

هجرة أخرى في شهر رمضان، هي هجرة إلى بيت من بيوت الله ليعتكف به؛ وينقطع إلى جوار القرب بعد أن انقطع عن الطعام والشراب وعن الحياة الرتيبة. وهو تدريب للنفس كي لا ترتبط بمتغير وكل ما غير الله متغير. فينقطع إلى ربه مخاطباً إياه لن أبرح حتى أبلغ مرتبة القرب أو أنال المغفرة. وقد ورد في الحديث [إذا كانت آخر ليلة من رمضان تجلى الجبار بالمغفرة].

[redacted]

ولكن كيف يتجلى الجبار بالمغفرة مع أن الذي يسبق إلى الذهن هو أن يتجلى الغفار بالمغفرة؟ فالمعصية تثير غضب الجبار وتثير صفة الانتقام عندها والقهر في المنتقم القهار، ولكن التوبة والمغفرة والصدقة تطفىء غضب الرب الجبار، فيتجلّى عندها بالمغفرة لأصحاب الذنوب. وكأن هذا يشرح قوله(ص): [شفعت الملائكة وشفع الأنبياء وشفع المؤمنون وبقيت شفاعة أرحم الراحمين]. والشفاعة تقتضي شافعاً ومشفوعاً عنده ومشفوعاً له. فالمذنب هو المشفوع له وأرحم الراحمين هو الشافع فمن المشفوع عنده؟ إنه الرحمن.. فينال المغفرة. وإلى هذا تشير أدعية أهل البيت بخطابهم له سبحانه بقولهم: «يا من سبقت رحمته غضبه..» إذ يمكن أن يستفاد هذا المعنى من التوسل المذكور.

ويصبح الإفطار في العيد عبادة لأن المؤمن يستقبل أوامر الله بشرف العبادة لا بإلف العادة، ويخرج الناس فرحين يهنئون بعضهم بأداء واجباتهم العبادية، ويفرحون بلقاءاتهم وهم يستمطرون الخير والرحمة والبركة وقد استجاب المؤمنون لربهم في قيامهم وصيامهم وهو مشهد يباهي الله به الملائكة.

[redacted]

هل قوله ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾ خطاب للمعذورين؟

وهل في الآية دلالة على أنها تدل على رجوح الصوم مع عدم وجود المانع من الإفطار، بحيث تناسب الآية الاستحباب دون الوجوب، بحيث تحمل الآية على استحباب الصوم على أصحاب الرخصة، وبحيث يستحب صوم المريض والمسافر على الإفطار والقضاء؟ والجواب:

أولاً: لا دليل على ذلك.

وثانياً: الجملة الأولى وردت بصيغة الغائب ﴿فمن كان منكم..﴾ بينما وردت الجملة

الثانية بصيغة الخطاب: ﴿وأن تصوموا خير لكم﴾.

وثالثاً: الجملة الأولى لا تبين الترخيص والتخيير بل تعين الصوم في أيام أخر لقوله ﴿فعدة من أيام أخر﴾.

ورابعاً: إن ذكر الصيام والإفطار في الآية الأولى ليست بياناً لأحد طرفي التخيير لأنها ذكرت صوم رمضان وصوم عدة من أيام أخر.

ولا قرينة مرجحة للتمييز والترخيص.

وخامساً: إن المقام مقام التشريع، والحكم المشرع لا يخلو من المصلحة والخير والحسن؛ أي أن المقام ليس مقام بيان الحكم. ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿فتوبوا إلى بارئكم واقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم﴾(٢). وقوله: ﴿فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(٣). وقوله: ﴿تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾(٤).

والآيات في ذلك كثيرة.

وهكذا يظهر أن الحكم هو تعيين الإفطار لمن كان مريضاً أو على سفر، وتُعَيَّنُ عليه الصيام في غير رمضان، وتُعَيِّنُ عليه عدداً من أيام صيام القضاء يماثل الأيام التي تعين الإفطار فيها.

[redacted]

يتضح من البيان السابق أن الصوم عبادة تقع خالصة لله سبحانه؛ وما ذاك إلا إذا قصد بها أن تكون قربة لوجهه الكريم. أما إذا رافق نية الصوم غرض آخر كقصد الحمية أو التداوي يصبح العمل مشوباً غير خالص. وتغلب على عبادة الصوم محض التقرب إلى الله سبحانه، ويمكن القرب من ساحة القدس في الصوم إذا أريد به وجه الله سبحانه دون النظر إلى ما أعد الله للصائم من ثواب وهذا ما يعبر عنه قول أمير المؤمنين(ع): «إلهي ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنتك ولكني وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

فإذا انصرف العبد بكليته في صومه - كما في باقي عباداته - إلى مظاهر الجمال والجلال، عصمه ذلك عن الالتفات إلى عرض الأدنى من متع الحياة الدنيا.

وقد أشار الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى حقيقة الإخلاص بقوله: [هو أن تقول ربي الله ثم تستقيم كما أمرت، تعمل لله، لا تحب أن تحمد عليه]، أي لا تعبد هواك ونفسك، ولا تعبد إلا ربك، وتستقيم في عبادتك كما أمرت.

فمن صام كسر شهوات نفسه عن حلال الدنيا ـ في أوقات الصوم ـ فضلاً عن صومه عن حرامها، فيتجرد للآخرة ويصرف النظر عن متع الحياة الدنيا الزائلة، فإذا قطع السلاسل التي تشده بالملذات، وتدعوه إلى الاخلاد إلى الأرض انصرف همه إلى التفكر في ملكوت السموات والأرض، وإلى الاشتغال بمناجاة الله حتى يغلب على قلبه نور جلاله فيشرق نور هدايته في قلبه ويزيده هدى، ولا يزال العبد يحب ربه فإذا أحبه أحبه ربه ورفعه إليه، وإذا رفعه إليه نسي كل ما سواه وملأ حب الله شغاف قلبه فيأنس إليه وفي الحديث القدسي: [الإخلاص سر من أسراري، استودعته قلب من أحببت من عبادي] وقال رسول الله(ص): [ما من عبد يخلص العمل لله تعالى أربعين يوماً إلا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه]، فتريض النفس على التقوى، وترتقي من حضيض مرتبة النفس البهيمية إلى المراتب الملكوتية.

فالصيام يعلم الإنسان أن يملك نفسه أمام شهواته دون أن يرجو مالاً أو جاهاً، أو منصباً، ويقتدي بعمله بقول الصادق(ع): «اجعلوا أمركم هذا لله ولا تجعلوه للناس فإن ما كان لله فهو لله، وما كان للناس فلا يصعد إلى أحد». وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: [إن الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجاً به، فإذا صعد بحسناته يقول الله عزوجل: اجعلوها في سجين، إنه ليس إياي أراد به].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

[redacted]

يعلم الصائم نفسه التمرد على الأهواء والاستقامة على الصراط لتصبح نفسه مطواعة له، مذللة لإرادته، ولا إيمان لمن لا صبر له. وعن الصادق(ع) «من ملك نفسه إذا رغب، وإذا رهب، وإذا اشتهى، وإذا غضب، وإذا رضى، حرم الله جسده على النار»، وما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن وفرج. والصيام عن الطعام والشراب والصبر على حبهما يستلزم الصبر على مشتهيات النفس التي حرمها الله، فيغض الصائم بصره ويصبر على ذلك، ويصرف قلبه عن غير ربه ويداوم على ذلك، ويصبر في حفظ لسانه وكف جوارحه.

فالصوم يشد أزر النفس في صبرها على الشدائد ومقاومة المصائب فتبقى منشرحة مطمئنة، ويصبر على حفظ ما أصابه في صدره، دون أن يشكو ما به إلى خلق ربه وهم عباد مثله.

ومتى داوم على الصبر وقد شدَّ صيامه أزر صبره أورثه ذلك ملكة راسخة تثمر عن الرضا؛ وهو أعلى من الصبر مقاماً؛ وقد قال(صلى الله عليه وآله): [اعبد الله على الرضا، فإن لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير].

ولا تلبث النفس أن تنعم بمراتب الطمأنينة وعند ذاك يخاطبها سبحانه بقوله :

﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ وهذه مرتبة من سلك في سلك عباده الصالحين، وأورثه الصوم صبراً على أهواء نفسه وقهرها حتى لا تبقى لها قوة المنازعة، وحتى تيأس عن المجاهدة والمنازعة.

وقد قال (صلى الله عليه وآله وسلم) : [من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمته الصبر، ومن أعطي حظاً منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصيام النهار]. الحديث.

[redacted]

يقول رسول الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم : [صوموا تصحوا] ويقول: [ما ملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه] ولا ريب في صحة قوله(ص) وهو لا ينطق عن الهوى إن أن كل عضو يعمل يحتاج إلى الراحة؛ وحتى القلب فإنه يرتاح زمناً يساوي زمن عمله إذ أن زمن تقلص الأذينتين يعادل ١, ٠ ثانية وزمن تقلص البطينين يعادل ٣, ٠ ثانية وزمنهما معاً ٤, ٠ ثانية ويرتاح القلب بعد ذلك ٤, ٠ ثا وهو زمن الاسترخاء العام، وكذلك فالإنسان لا يمكن أن يستغني عن النوم بعد عمل طال أمده أم قصر. وهذا حال المعدة والأمعاء وجهاز الهضم بأكمله؛ إذ يحتاج إلى الراحة ولا يجد الراحة زمناً يكفيه إلا في شهر رمضان. إذ يحصل البدن على فترة كافية من الراحة تعيد إلى جهاز الهضم النشاط الذي استغرقه العمل في غير أوقات الصيام.

كما أن عمليات الاستقلاب التي يقوم بها الجسم من بناء وهدم تفرز سموماً كثيرة، وهذه السموم تترسب في الخلايا، ولا تلبث أن تسبب الآلام والأمراض. فإذا أتى شهر رمضان وصام الإنسان فيه توقف تدفق الأغذية ردحاً من الزمن إلى كافة خلايا البدن فتلجأ إلى الحفظ على استمرار وجودها عن طريق حرق السموم والفضلات التي ترسبت فيها. وهذا ما يعيد للجسم صحته وقوته ونشاطه. لذلك كان من الضرر التوسع في المآكل عند الإفطار، لأن زيادة ألوان الطعام ومقاديرها يزيل النفع الحاصل من الصيام ويعيد للنفس كوامن رغباتها ويزيد من هياج شهواتها فلا يحصّل ما هو المقصود من الصوم، وينسى الفقراء الذين ذكره بهم صومه.

أما من قنع بعد إفطاره بما يقيم أوده فقد صح جسمه؛ وساعده صومه في إماتة مراد النفس وشهواتها؛ فينال صفاء القلب وطهارة الجوارح، ويشكر الله على نعمه وإحسانه ويتجلى شكره لربه في الإحسان على عباد ربه ويزداد تضرعه وبكاؤه، ويتجلى في عباداته خشوعه، ويربط نفسه

بحبـل الالتجـاء إلى الله سبحـانه، وهذا ما يخفف حسابه ويضعف حسناته فيستحق المغفرة وينال وعد الله باستجابة الدعاء بعد أن صام النهار وقام آناء الليل.

الحواشي:

---

(١): الفرقان - ٦٣ ومايليها إلى ٦٦.
(٢): البقرة - ٥٤.
(٣): الجمعة - ٩.
(٤): الصف - ١١.